الفصل الأول

فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف

في انحرافات عقدية لبعض الطرق الصوفية

۞ وجوب هدم المساجد والقباب التي بنيت على القبور ص١٩
فضيلة الشيخ ابن حجر الهيتمي رحمه الله الفقيه الشافعي
۞ التوسل بجاه الأنبياء والأولياء بدعة في الدين ص٢١
۞ زيارة الأضرحة في الموالد من أعمال الوثنيين ص٣١
۞ هدم قبة على قبر ص٣٣
۞ لا يجوز اتخاذ القبور في المساجد ص٣٤
فضيلة الأستاذ الشيخ الامام محمد عبده رحمه الله مفتي الديار المصرية
۞ شرك القبوريين ص٣٥
۞ زوار البدوي وإفساد التوحيد ص٣٧
۞ بدع بناء الأضرحة والمساجد على القبور وشد الرحال إليها ص٤٢
۞ بيان التوسل المشروع والممنوع ص٤٦
۞ الأقطاب والأوتاد والنجباء لغو وخرافة صوفية باطلة ص٤٨
۞ محمد بن عبد الوهاب رفع شعار التوحيد ص٥٤
۞ ضلال معظّمي القبور والأضرحة ص٥٥
فضيلة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله وكيل وزارة الأوقاف
۞ حرمة بناء القبور على المساجد قطعًا لدابر الوثنية ص٦٠
۞ بدعية تقبيل المقصورات والأبواب والأعتاب والمشاهد ص٦٣
۞ دعاء غير الله في البر والبحر شرك ص٦٨
۞ الحجة على عبّاد الأولياء ص٧١
فضيلة الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله من كبار علماء الأزهر الشريف
۞ أفتى العلماء بهدم المساجد والقباب التي بنيت على المقابر ص٧٣
فضيلة الشيخ سيد سابق رحمه الله من كبار علماء الأزهر الشريف

obeikandl.com

obeikandl.com

وجوب هدم المساجد والقباب التي بُنيت على القبور

لفضيلة الشيخ

ابن حجر الهيتمي رحمه الله[١]

الفقيه الشافعي

قال الشيخ رحمه الله نقلًا عن بعض الحنابلة[٢]:

«وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور؛ إذ

---

(١) ولد عام (٩٠٩هـ) في «محلة أبي الهيتم» التابعة لمحافظة «الغربية» في مصر، مات أبوه وهو صغير فكفله الإمامان شمس الدين بن أبي الحمايل وشمس الدين الشناوي. قرأ في مبادئ العلوم ثم نقله الشناوي في عام (٩٢٤هـ) إلى جامع الأزهر فأخذ عن علماء مصر، وكان قد حفظ القرآن في صغره، أذن له مشايخه بالإفتاء والتدريس وعمره دون العشرين، كان شافعي المذهب، وبرع في علوم كثيرة من الفقه والتفسير والحديث وغيرها، قدم إلى مكة في آخر سنة (٩٣٣ هـ) فحج وجاور بها، وأقام بها يدرس ويفتي ويؤلف إلى أن توفي بها رحمه عام (٩٧٣هـ).

(٢) «الزواجر عن اقتراف الكبائر»، ابن حجر الهيتمي المصري، (الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتسعون: اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثانًا، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها).

هي أَضَرُّ من مسجد الضرار؛ لأنها أُسست على معصية رسول الله ﷺ؛ لأنه نهى عن ذلك، وأمر ﷺ بهدم القبور المشرِفة، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر، ولا يصح وقفه ونذره».

obeikandl.com

التوسل بجاه الأنبياء والأولياء بدعة في الدين

لفضيلة الأستاذ الشيخ الإمام

محمد عبده رحمه الله[١]

مفتي الديار المصرية

سئل فضيلته رحمه الله[٢]:

«فضيلة أفندم مفتي الديار المصرية، متعنا الله بوجوده، آمين. أُبدي أنه قد بلغني أن بعض الناس كتب إلى فضيلتكم سؤالًا يَدَّعِي فيه أني أنكرت جاه النبي، والتوسل به إلى الله تعالى وبأوليائه -رضوان الله عليهم أجمعين-.

والحقيقة أني لم أنكر شيئًا من ذلك ولم أتكلم به. بل

---

(١) ولد في إحدى قرى مديرية البحيرة سنة ١٨٤٩م، حفظ القرآن الكريم، وتعلم القراءة والكتابة، ثم انتقل إلى الجامع الأزهر بالقاهرة، تولى منصب القضاء سنة ١٨٨٨م، فعُيِّن نائب قاضٍ في محكمة بنها، ثم رُقِّيَ قاضيًا من الدرجة الثانية ثم الدرجة الأولى، وعُيِّنَ مفتيًا للدِّيار المصرية سنة ١٨٩٩م، وتوفِّي بالإسكندرية سنة ١٩٠٥م.

(٢) «الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده» تحقيق د. محمد عمارة (٣/ ٥٤١-٥٤٥)، وقد نُشرت الفتوى في مجلة «المنار» في الجزء الثالث عشر من السنة السابعة في (غرة رجب ١٣٢٢هـ).

الحقيقة أنه سألني جمع من الناس عن حقيقة ما يعتقدونه ويقولونه بألسنتهم من التوسل بجاه النبي ﷺ، والتوسل بأوليائه، معتقدين أن النبي أو الولي يستميل إرادة الله تعالى عما هي عليه، كما هو المعروف للناس من معنى الشفاعة والجاه عند الحكام، وأن التوسل بهم إلى الله تعالى كالتوسل بأكابر الناس إلى الحكام.

فلما رأيت منهم ذلك، وأن هذا أمر مخل بالعقيدة -كما تعلمون- وأن قياس التوسل إلى الله تعالى على التوسل بالحكام محال -فأجبتهم بما أعتقده وأدين به من تقرير عقيدة التوحيد، وهي أنه: لا فاعل ولا نافع ولا ضار إلا الله تعالى، وأنه لا يُدعى معه أحد سواه؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وأن النبي ﷺ -وإن كان أعظم منزلة عند الله من جميع البشر، وأعظم الناس جاهًا ومحبة، وأقربهم إليه- ليس له من الأمر شيء، ولا يملك للناس ضرًّا ولا نفعًا ولا رشدًا ولا غيره، كما في نص القرآن،

وإنما هو مبلِّغ عن الله تعالى. ولا يُتوسل إليه تعالى إلا بالعمل كما جاء على لسانه ﷺ، واتباع ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون من هَدْيه وسنته.

وإنه لا سبب لجلب المنافع ودفع المضار إلا ما هدى الله الناس إليه، ولا معنى للتوسل بنبي أو ولي إلا باتباعه والاقتداء به، يرشدنا إلى هذا كثير من الآيات الواردة في القرآن العظيم؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]... إلى غير ذلك من الآيات.

هذا هو اعتقادي، وهو الذي قلته للناس، فإن كنتم ترون فيه خطأ فأرجو بيانه، وإن كان هو الصواب فأرجو إقراري عليه كتابةً لأدافع بذلك من أساء بي الظن. لا زلتم هادين مهديِّين.

محمد موسى

من محلة فرنوي، بحيرة

فأجاب فضيلته رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اعتقادك هذا هو الاعتقاد الصحيح، ولا يشوبه شوب من الخطأ، وهو ما يجب على كل مسلم يؤمن بما جاء به محمد ﷺ أن يعتقده؛ فإن الأساس الذي بُنيت عليه رسالة النبي محمد ﷺ هو هذا المعنى من التوحيد -كما قال الله له-: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢].

والصمد هو الذي يُقصد في الحاجات، ويتوجه إليه المربوبون في معونتهم على ما يطلبون، وإمدادهم بالقوة فيما تضعف عنه قواهم، والإتيان بالخبر على هذه الصورة يفيد الحصر -كما هو معروف- عند أهل اللغة، فلا صمد إلا هو.

وقد أرشدنا إلى وجوب القصد إليه وحده، بأصرح عبارة في قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

على أن الذين يزعمون جواز شيء مما عليه العامة اليوم في

هذا الشأن إنما يتكلمون فيه بالمبهمات ويسلكون طرقًا من التأويل لا تنطبق على ما في نفوس الناس، ويفسرون الجاه والواسطة بما لا أثر له في مخيلات المعتقدين، فأيُّ حالة تدعوهم إلى ذلك وبين أيديهم القرون الثلاثة الأولى ولم يكن فيها شيء من هذا التوسل ولا ما يشبهه بوجه من الوجوه؟! وكتب السنة والسِّيَر بين أيدينا شاهدة بذلك.

فكل ما حدث بعد ذلك فأقل أوصافه أنه بدعة من الدين، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وأسوأ البدع ما كان فيه شُبهة الإشراك بالله وسوء الظن به، كهذه البدع التي نحن بصدد الكلام فيها، وكأنَّ هؤلاء الزاعمين يظنون أن في ذلك تعظيمًا لقدر النبي ﷺ أو الأنبياء والأولياء، مع أنَّ أفضل التعظيم للأنبياء هو الوقوف عند ما جاءوا به، واتقاء الزيادة عليهم فيما شرعوه بإذن ربهم، وتعظيم الأولياء يكون باختيار ما اختاروه لأنفسهم.

وظن هؤلاء الزاعمين أن الأنبياء والأولياء يفرحون

بإطرائهم، وتنظيم المدائح وعزوها إليهم، وتفخيم الألفاظ عند ذِكرِهم، واختراع شئون لهم مع الله لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا رضيها السلف الصالح.

هذا الظن بالأنبياء والأولياء هو أسوأ الظن؛ لأنهم شبهوهم في ذلك بالجبارين من أهل الدنيا الذين غشيت أبصارَهم ظلماتُ الجهل قبل لقاء الموت، وليس يخطر بالبال أن جبارًا لقي الموت وانكشف له الغطاء عن أمر ربه فيه يرضى أن يفخِّمه الناس بما لم يشرعه الله، فكيف بالأنبياء والصديقين؟!

إن لفظ الجاه الذي يضيفونه إلى الأنبياء والأولياء عند التوسل مفهومه العرفي هو السلطة، وإن شئت قلت نفاذ الكلمة عند من يستعمل عليه أو لديه؛ فيقال: فلان اغتصب مال فلان بجاهه، ويقال: فلان خلص فلانًا من عقوبة الذنب بجاهه لدى الأمير أو الوزير مثلًا.

فزَعْمُ زاعم أن لفلان جاهًا عند الله بهذا المعنى إشراك جلي لا خفي، وقلما يخطر ببال أحد من المتوسلين معنى اللفظ

اللغوي، وهو المنزلة والقدرة. على أنه لا معنى للتوسُّل بالقدرة والمنزلة في نفسها؛ لأنها ليست شيئًا ينفع، وإنما يكون لذلك معنًى لو أولت بصفة من صفات الله كالاجتباء والاصطفاء.

ولا عَلاقة لها بالدعاء، ولا يمكن لمتوسل أن يقصدها في دعائه، وإن كان «الألوسي» المسكين بنى تجويز التوسل بجاه النبي خاصة على ذلك التأويل، وما حمله على هذا إلا خوفه من ألسنة العامة وسباب الجهال، وهو ما لا قيمة له عند العارفين.

فالتوسل بلفظ الجاه مبتدَع بعد القرون الثلاثة، وفيه شبهة الشرك -والعياذ بالله- وشبهة العدول عما جاء به رسول الله ﷺ؛ فلم الإصرار على تحسين هذه البدعة؟!

يقول بعض الناس: إن لنا على ذلك حجة لا أبلغ منها، وهي ما رواه الترمذي بسنده إلى عثمان بن حنيف رضي الله عنه، قال: إن رجلًا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: فادعه. قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء، ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت**

بك إلى ربي ليقضي لي في حاجتي هذه، اللهم فشفعه في». قال الترمذي: وهو حديث حسن صحيح غريب[١].

ونقول: أولًا قد وصف الحديث بالغريب، وهو ما رواه واحد، ثم يكفي في لزوم التحرز عن الأخذ به أن أهل القرون الثلاثة لم يقع منهم مثله، وهم أعلم منا بما يجب الأخذ به من ذلك، ولا وجه لابتعادهم عن العمل به إلا علمهم بأن ذلك من باب طلب الاشتراك في الدعاء من الحي، كما قال عمر رضي الله عنه في حديث الاستسقاء: «إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإننا نتوسل إليك بعم نبينا العباس فاسقنا»[٢]. قال ذلك رضي الله عنه، والعباس بجانبه يدعو الله تعالى.

ولو كان التوسل ما يزعم هؤلاء الزاعمون لكان عمر يستسقي ويتوسل بالنبي ﷺ ولا يقول: كنا نستسقي بنبينا، والآن نستسقي بعم نبينا.

---

(١) سنن الترمذي (٣٥٧٨)، وأخرجه أحمد (١٧٢٤٠-١٧٢٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٠١٠) ومواطن أخر.

وطلب الاشتراك في الدعاء مشروع حتى من الأخ لأخيه، بل ويكون من الأعلى للأدنى، كما ورد في الحديث، وليس فيه ما يخشى منه، فإن الداعي ومن يشركه في الدعاء وهو حي كلاهما عبد يسأل الله تعالى، والشريك في الدعاء شريك في العبودية، ولا وزير يتصرف في إرادة الأمير كما يظنون: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات: ١٨٠].

ثم.. المسألة داخلة في باب العقائد لا في باب الأعمال؛ ذلك أنَّ الأمر فيها يرجع إلى هذا السؤال: « هل يجوز أن نعتقد بأن واحدًا سوى الله يكون واسطة بيننا وبين الله في قضاء حاجاتنا أو لا يجوز؟

أما الكتاب فصريحٌ في أن تلك العقيدة من عقائد المشركين، وقد نَعاها عليهم في قوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨].. وقد جاء في السورة التي نقرؤها كل يوم في الصلاة: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]،

فلا استعانة إلا به، وقد صرح الكتاب بأن أحدًا لا يملك للناس من الله نفعًا ولا ضرًّا، وهذا هو التوحيد الذي كان أساس الرسالة المصطفوية -كما بيَّنَّا-.

ثم البرهان العقلي يرشد إلى أن الله في أعماله لا يقاس بالحكام وأمثالهم في التحول عن إرادتهم بما يتخذه أهل الجاه عندهم لتنزُّهه -جل شأنه- عن ذلك. والله أعلم.

محمد عبده

في ٢٧ جمادى الثانية ١٣٢٢

obeikandl.com

زيارة الأضرحة في الموالد من أعمال الوثنيين

وقال فضيلته في موضع آخر[١]:

إن أحد وجهاء المصريين كان عندي في أثناء مَولد السيدة زينب من هذا الشهر «رجب» مع جماعة آخرين، فقام الوجيه، وقال: إنه ذاهب لزيارة السيدة...

فقلت له: لم خصصت الزيارة بهذا اليوم؟ فقال: لأنه يوم المولد، وأن هذه الليلة هي الليلة الكبيرة. فقلت: ما هذا المولد؟ أنا لا أفهم معنى لهذا اللفظ؛ هل يوم الموالد أو الليلة الكبيرة من لياليه عبارة عن ليلة تخرج السيدة فيها للقاء الزائرين؟!

ونهيتُه عن الذهاب فلم ينتهِ، وهَمَّ بالخروج فقلت له: إنني لست مازحًا وإنما أتكلم بالجد، وأقول: إن هذا العمل من أعمال الوثنيين وإن الإسلام يأباه، كل آيات القرآن في التوحيد تنهى عن هذا وتَذُمُّه.

---

(١) «الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده» (٣/ ٥٥٧).

إن الفاتحة التي تقرؤونها كل يوم في صلاتكم مرارًا تنهاكم عن هذا العمل، تخاطبون الله تعالى فيها بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] كذبًا، فإنكم تستعينون بغيره، وتعبدون غيره، ثم إن عملكم هذا متناقض، حيث تهدون الفاتحة إلى من تزورونه، إذًا معناه أنه محتاج إليكم وينتفع بفاتحتكم، ثم تطلبون منه قضاء حوائجكم... إلخ.

هدم قبة على قبر

وسُئل فضيلته عن ضريح قديم عليه قُبة في شارع مطروق ليلًا ونهارًا، معرضة للبول والأقذار، وبجوار هذا الضريح مسجد منسوب لصاحبه، وفى هذا المسجد باب لذلك الضريح، فهل يجوز هدم القبة ونقل الضريح إلى داخل المسجد أو يبقى في محله.

فأجاب فضيلته[1]:

«المروي عن الإمام أبي حنيفة أن بناء بيت أو قبة على القبر مكروه[2]، وهو يدل على أن لا بأس بهدم القُبة المذكورة، بل إنَّه الأَوْلَى، فإذا كانت تجتمع حولها القاذورات واعترضت في الطريق تأكدت الأولوية، أما موضع القبة وهو الضريح فَيُسوَّى بأرض الشارع لأنه لو فُرض أنَّ تحته ميتًا مدفونًا فقد بَلِيَ، فيجوز استعمال أرضه في غير الدفن. والله أعلم».

---

(١) «فتاوي دار الإفتاء»، برقم (٥٩٤)، بتاريخ (٢٨ ذى الحجة ١٣١٩هـ).

(٢) قال ابن عابدين: «وعن أبي حنيفة: يُكرهُ أن يبنيَ عليه بِناءً مِن بيتٍ أو قُبّةٍ أو نحوِ ذلك، لما روى جابِرٌ «نهى رسولُ الله ﷺ عن تجصيصِ القبورِ، وأن يُكتَبَ عليها، وأن يُبنَى عليها»، رواه مسلمٌ وغيره». انظر: حاشية ابن عابدين (٢/ ٢٣٨).

لا يجوز اتخاذ القبور في المساجد

وسُئل فضيلته رحمه الله [1]:

في أهل بلدة بنوا مسجدًا، وأذن بإقامة الجمعة فيه، ثم تخرب ولم يوجد مَن يُصلحه، فقام رجل وأنفق عليه من ماله وأصلحه، فهل يجوز له أن يتخذ فيه قبورًا؟!

فأجاب فضيلته رحمه الله:

حيث كان هذا المسجد قد بُني في أول مرة مسجدًا، فحكمه حكم المسجد، لا يجوز اتخاذ القبور فيه؛ فلا حق لمن أصلح ما تخرب منه تبرعًا من جهته أن يتخذ فيه تلك القبور، لبقاء حكم المسجدية المانع من ذلك. والله أعلم.

---

(١) «الأعمال الكاملة» (٢/ ٥٠٨)، وتاريخ هذه الفتوى: (٣ ذي الحجة سنة ١٣٢٠هـ)، ورقمها في السجل الثالث من سجلات دار الإفتاء (١٠٦).

شرك القبوريين

لفضيلة الشيخ

محمد الغزالي رحمه الله [١]

وكيل وزارة الأوقاف

قال فضيلته رحمه الله [٢]:

ولماذا نستحي من وصف القبوريين بالشرك، مع أن الرسول وصف المرائين به، فقال: «الرياء شرك»[٣].

وإن واجب العالم أن يرمق هذه التوسلات النابية

---

(١) ولد فضيلته في الخامس من ذي الحجة سنة ١٣٣٥هـ الموافق ٢٢ من سبتمبر ١٩١٧م في قرية «نكلا العنب» التابعة لمحافظة البحيرة بمصر، وأتم حفظ القرآن بكتّاب القرية في العاشرة، والتحق بعد ذلك بمعهد الإسكندرية الديني الابتدائي، وظل بالمعهد حتى حصل منه على شهادة الكفاءة ثم الشهادة الثانوية الأزهرية، ثم انتقل بعد ذلك إلى القاهرة سنة ١٩٣٧م، والتحق بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف، وتخصص بعدها في الدعوة والإرشاد حتى حصل على درجة العالمية سنة ١٩٤٣م، وعُين وكيلًا لوزارة الأوقاف، وتوفي سنة ١٩٩٦م، ودفن بالبقيع.

(٢) «عقيدة المسلم» ص ٧٢.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩)، والحاكم (٤/ ٣٢٨).

obeikandl.com

باستنكار، ويبذل جهده في تعليم ذويها طريق الحق، لا أن يفرغ وسعه في التمحل والاعتذار.

ولستُ ممن يحب تكفير الناس بأَوْهَى الأسباب، ولكن حرام أن ندع الجهل بالعقائد ونحن شهود.

obeikandl.com

زوار البدوي وإفساد التوحيد

وقال فضيلته في موضع آخر[١]:

«ينبغي لهذه الأمة أن تكون مثلًا عاليًا في إسلام الوجه لله وإفراده بالنية والعمل.

بيد أننا نلحظ -آسفين- أن هناك مسالك شائعة بين الجماهير الغفيرة من المسلمين، لها دلالتها الخطيرة على فساد التفكير وضلال الاتجاه واضطراب المقصد.

ولا نحب أن نوارب في الكشف عن هذه العلة؛ فإن أيَّ خلل في دعائم التوحيد معناه الخبل الذي يدرك موطن القيادة الفكرية في هذا الدين الحنيف.

إذًا التوحيد في الإسلام حقيقةٌ وعنوان، وساحة وأركان، وباعث وهدف، ومبدأ ونهاية.

ولسنا -كذلك- ممن يحب تصيد التهم للناس، ورميهم

---

(١) «عقيدة المسلم» (ص ٦٤ - ٦٩).

بالشرك جزافًا، واستباحة حقوقهم ظلمًا وعدوانًا، ولكننا أمام تصرفات توجب علينا النظر الطويل، والنصح الخالص، والمصارحة بتعاليم الكتاب والسنة كلما وُجد عنها أدنى انحراف.

لقد اهتمت حكومة إنجلترا -في سبيل مكافحة الشيوعية- بالحالة الدينية في مصر، فكان مما طمأنها على إيمان المصريين (!) أن ثلاثة ملايين مسلم زاروا ضريح أحمد البدوي بطنطا هذا العام.

والذين زاروا الضريح ليسوا مجهولين لديَّ، فطالما أُوفدت رسميًّا لوعظهم، فكنت أشهد من أعمالهم ما يستدعي الجلد بالسياط لا ما يستدعي الزجر بالكلام، وكثرتهم الساحقة لا تعرف عن فضائل الإسلام وأنظمته وآدابه شيئًا.

ولو دُعوا لواجب ديني صحيح لفروا نافرين، وإن كانوا أسرع إلى الخرافة من الفَراش إلى النار.

وحَسْبك من معرفة حالهم أنهم جاؤوا الضريح المذكور للوفاء بالنذور والابتهال بالدعاء! ولِمَنْ النذور؟ ولمن

الدعاء؟ إنه أول الأمر للسيد. فإذا جادلْت القوم قالوا: إنه لله عن طريق السيد البدوي.

وأكثر أولئك المغفلين لغطًا يقول لك: نحن نعرف الله جيدًا، ونعرف أن أولياءه عبيده، وإنما نتقرب بهم إليه، فهم أطهر منا نفسًا وأعلى درجة.

وهذا الكلام -على فرض مطابقته لواقع القوم- غلط في الإسلام؛ فإن الله سبحانه وتعالى لم يطلب منا أن نجيء معنا بالآخرين ليحملوا عنا حسناتنا، أو ليستغفروا لنا زلاتنا، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[الشورى:٢١]. بل المعروف من بديهيات الإسلام الأُولى أن الطلب ووسيلته جميعًا يجب أن يكونا من الله، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]، «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٧) ومواطن أخر، ومسلم (٥٢٨).

أليس من المضحك أن نستنجد بقوم يطلبون لأنفسهم النجدة، وأن نتوسل بمن يطلب هو كل وسيلة ليستفيد خيرًا أو يستدفع شرًّا؟ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[الإسراء:٥٧].

إن المسلمين لما طال عليهم الأمد نسوا الحق، والمرء قد يعذر إذا ذَهل عن شأن تافه، أو فاته استصحاب شيء هَيِّن، أما أن يذهل عن كيانه وإيمانه فهنا الطامة.

وأحسب أن القرآن الكريم يقصد إلى التنديد بهذا اللون من إفساد التوحيد عندما قال:﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾[الفرقان:١٧-١٨].

أجل، لقد نسوا الذكر، وما قام عليه الذكر من توحيدٍ شامل.

وليس يغني في الدفاع عن أولئك الجهلة من العوام أنهم

يعرفون الله، ويعرفون أنه وحده مجيب كل سؤال، وباعث كل فضل، وأن مَن دونه لا يملكون من ذلك شيئًا؛ فإن هذه المعرفة لا تصلح ولا تُقبل إلا إذا صَحِبَها إفراد الله بالدعاء والتوجيه والإخلاص؛ فإن المشركين القدماء كانوا يعرفون الله كذلك، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾[يونس:٣١].

ومع أنهم يقولون «الله» بصراحة وجلاء فلم يُحسبوا - بهذا القول- مؤمنين؛ لأن الإيمان: إذا عَرَفْتَ الله حقًا ألَّا تعرف غيره فيما هو من شئونه.

ولذلك يستطرد القرآن مخاطبًا هؤلاء: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[يونس:٣١-٣٣]».

بدع بناء الأضرحة والمساجد على القبور وشد الرحال إليها

وقال فضيلته في موضع آخر[١]:

«إن العامة عندما يشدُّون الرِّحال إلى قبور تضم رفات بعض الناس، وعندما يهرعون بالنذور والحاجات والأدعية إلى من يظنونهم أبوابًا لله، إنما يرتكبون في حق الإسلام مآثم شنيعة.

ومحبة الصالحين وبغض الفاسدين من شعائر الإسلام حقًّا، ومظاهر الحب والبغض معروفة... هي مصادقة للأحياء أو منافرة، واستغفار للموتى أو لعنة.

وأين من عواطف الحب والبغض هذا الذي يصطنعه المسلمون اليوم؟

إن الواحد منهم قد يصادق أفسق الناس، وقد يقطع والديه -وهما أحياء- ثم تراه مشمِّرًا مجدًّا في الذهاب إلى قبر

(١) «عقيدة المسلم» (ص ٦٤-٦٧).

من قبور الصالحين، لا ليدعو له ويطلب من الله أن يرحم ساكن هذا القبر، بل ليسأل صاحب القبر من حاجات الدنيا والآخرة ما هو مضطر إليه، وذلك ضلال مبين!

وبناء المعابد على قبور الصالحين تقليد قديم، وقد ذكر القرآن ما يدل على شيوعه في الأمم السابقة، وفي قصة أهل الكهف تسمع قوله ﷻ: ﴿فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١].

ويظهر أن اتخاذ المساجد على القبور كبناء التماثيل، لم يكن محظورًا أول أمره إذ لم تكن له دلالة مثيرة. غير أن البشر سفهوا أنفسهم، فالأحجار التي نحتوها للعظماء عبدوها، أو -على حد تعبيرهم- اتخذوها إلى الله زلفى.

والمعابد التي أقاموها على قبور الصالحين قدسوها وسلكوها مسلك الأصنام في الشرك، فلما جاء الإسلام أعلن على هذين المظهرين من مظاهر الوثنية حربًا شعواء، وشَدَّد تشديدًا ظاهرًا في مَحق هذه المساخر المنافقة.

وقد رأينا كيف أن النبي ﷺ أرسل علي بن أبي طالب وأمره أن يُسوي بالأرض كل قبر وأن يهدم كل صنم[١]، فجَعَل الأضرحة العالية والأصنام المنصوبة سواء في الضلالة.

وقال النبي ﷺ في البيان عن سفاهة القدامى وفي التحذير من متابعتهم: «**لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٢]. «**ألَا لا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن هذا**»[٣].

وكان يرفع الخُمْرَة عن وجهه في مرض الموت ويكرر هذا المعنى، وكأنه توجَّس شرًّا مما يقع به فدعا الله: «**اللهم لا تجعل قبري من بعدي وثنًا يُعبَد**»[٤].

ومع كثرة الدلائل التي انتصبتْ في الإسلام دون الوقوع في

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٠) ومواطن أخر، ومسلم (٥٢٩).

(٣) أخرجه مسلم (٥٣٢).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٤١٤) من مرسل عطاء بن يسار، وأحمد في المسند (٧٣٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ بدون قوله «يعبد».

هذا المحظور -أَقْبَلَ المسلمون على بناء المساجد فوق قبور الصالحين، وتنافسوا في تشييد الأضرحة، حتى أصبحتْ تُبنى على أسماء لا مسميات لها، بل قد بنيت على ألواح الخشب وجثث الحيوانات! ومع ذلك فهي مزارات مشهورة معمورة، تُقصد لتفريج الكرب، وشفاء المرضى، وتهوين الصعاب!

وأحب ألا أثير فتنة عمياء بهدم هذه الأضرحة، فإن النبي ﷺ امتنع عن هدم الكعبة وإعادة بنائها على قواعد إبراهيم؛ لأن العرب كانوا حديثي عهد بشرك[1].

وجماهير العامة الآن ينبغي أن تساق سوقًا رفيقًا إلى حقائق الإسلام، حتى تنصرف -في هدوء- عن التوجُّه إلى الأضرحة وشدِّ الرحال إلى ما بها من جثث.

وإخلاص المعلِّم وأسلوبه في الدعوة عليهما مُعوَّل كبير في تمحيص العقيدة مما عَلق بها من شوائب وعلل».

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٠٩)، ومسلم (١٣٣٣).

بيان التوسل المشروع والممنوع

وقال فضيلته في موضع آخر[١]:

«وقد تكون لدى البعض شُبَهٌ في معنى التوسُّل، فلنُفهمْ أولئك القاصرين أن التوسل في دين الله إنما هو بالإيمان الحق والعمل الصالح.

وقد جاء في السنة: «**اللهم إني أسألك بأنك الله الذي لا إله إلا هو، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد**»[٢]. فهذا توسل بالإيمان بذات الله.

وجاء كذلك توسُّل بالعمل الصالح في حديث الثلاثة الذين آواهم الغار[٣].

---

(١) «عقيدة المسلم»، (ص ٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٧) ومواطن أخر، ومسلم (٥٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٧٢) ومواطن أخر، ومسلم (٢٧٤٣).

وجاء توسل بمعنى دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب[1]، ودعاء المسلم للمسلم مطلوب على أيَّة حال.

ولا نعرف في كتاب الله ولا في سنة رسوله توسلًا بالأشخاص مهما علت منزلتهم -سواء كانوا أحياء أو أمواتًا- على هذا النحو الذي أطبق عليه العامة وحسبوه من صميم الدين، ودافعوا عنه بحرارة وعنف ضد المنكرين والمستغربين».

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٢) بلفظ: «من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل».

obeikandl.com

الأقطاب والأوتاد والنجباء
لغو وخرافة صوفية باطلة

وقال فضيلته في موضع آخر بعد عرضه لكلام أحد الصوفية عن الأقطاب والأوتاد والنجباء[1]:

«قرأت هذا الوصف للكون وحركات عَالَمَي الغيب والشهادة ثم تساءلت عن هذا اللون من المعرفة: أهو ماديٌّ ألتمس أدلته من عالم الكون والحياة والطبيعة والكيمياء؟

وكان الجواب سريعًا: لا.. فإن علماء الكون والحياة لا يقررون من هذا الكلام حرفًا.

أهو دينيٌّ نلتمس أدلته من الكتاب والسنة المطهرة؟ وراجعتُ سور القرآن كلها، فلم أجد لهذا الكلام شاهدًا، وأخذت أتذكر ما أعرف من السنن التي رواها البخاري ومسلم والترمذي وأبو داوود والنسائي وابن ماجه وابن

(١) «مائة سؤال عن الإسلام» ص ٤١٥.

حنبل... إلخ، فلم أجد لهذا الكلام شاهدًا!

قلت: هذا الكلام رأيٌ فقهي يستند إلى أثر ضعيف عند الناس قوي عند صاحبه؟ إن هذه الآراء وجدت في علومنا، ألا ترى الأحناف يحكمون بنقض وضوء من يقهقه في الصلاة اعتمادًا على أثر أخذوا به، والشافعية يشترطون أربعين لصلاة الجمعة اعتمادًا على حديث ليِّن؟

إن أصحاب المذاهب معروفون لدينا، وقد يخطئهم غيرهم في هذه الآراء، وعلى كل حال فإن من ذهب إليها لا يتعصب لها، ولا يظن أنها الصواب الذي لا صواب وراءه، ولا يصفها بتاتًا بأنها حقائق مستيقَنة.

لكن الأستاذ الكاتب -عفا الله عنه- لا يعتمد فيما كتب على مَرويَّات قوية أو ضعيفة، ومع ذلك فهو يتهِم من يعارضه بالجهل ويوصيه بأن يمسك جهله على نفسه وحدها، وإلا فهو سيقول هرطقة أو شقشقة، أو هنبقة أو فيهقة باسم الدين المظلوم... هكذا يقول!

عجبًا، هل إذا أنكرتُ اجتماع أهل الديوان من أصحاب الوظائف الغيبية في مكة أو المدينة أو القدس -قبل احتلالها أو بعده- أتعرض لهذه التهم؟ لماذا؟ شيء لم يقله الله ولا رسوله، بل شيء نجزم أن أصحاب رسول الله ماتوا وهم لا يعرفون عنه شيئًا، يعتبر إنكاره هرطقة وهنبقة؟ لماذا؟

هل لأي إنسان يقوم الليل ويصوم النهار أن يقول لجماهير المسلمين كلامًا لا يعرفونه في مراجع دينهم ويُلزمهم باعتناقه وإلا فهم جُهَّال؟ ذاك ما نرفضه جملة وتفصيلًا.

بل إن الذي نوصي الجماهير به أن يعضوا على كتاب الله وسنة رسوله، وأن يحاكموا ما عداه إلى ما ورد وثبت؛ فمن أتى لهم بشيء من عند نفسه ردوا عليه.

وليس للخواطر أو الإلهامات أو الرؤى أو الخيالات أيُّ موقع من مصادر التشريع.

لقد قرر علم الفلك حقائق معروفة عن حركات الأرض حول نفسها وحول الشمس، فإذا جاء رجل يحلف أنه لا

خلاف بيننا على أن الله يؤتي فضله من يشاء، وأنه فضل بعض النبيين على بعض، وبعض الأمكنة والأزمنة على بعض... إلخ. لكن من أين تُعرف هذه التفصيلات ومَداها؟

الذي نقرره قاطعين أنَّ الشارع وحده مصدر هذه المعرفة. ونحن من الكتاب والسنة نعرف أَنَّ المؤمن ينظر بنور الله، وقد قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾[الحديد:٢٨].

لكن ليس من النظر بنور الله أن نفتح أبواب الرجم بالغيب لكل إنسان مهما اجتهد في عبادته وتقواه، ليقول في دين الله كلامًا لا برهان له إلا المعاناة الخاصة والكشف الذاتي.

إن قِسم السمعيات من ديننا من الأمور التي لا تُعرف إلا عن طريق المعصوم؛ فالصراط والميزان وثواب القبر وعقابه، وشئون الملأ الأعلى، وبعض الأوصاف الإلهية -كل أولئك لا ينفرد العقل بإدراكه، ولا سبيل للبشر إليه إلا بتوقيف من الشارع.

فإذا جاء امرؤ فزعم أن حَملة العرش الثمانية تحتهم ستة

عشر ملكًا ثم اثنان وثلاثون ملكًا... وهكذا، متواليات هندسية قلنا له: من أين جئت بهذا الكلام؟ ومن حقنا أن نقول له هذا. بل إننا نجرم في حق ديننا إذا لم نقل له: من أين جئت بهذا الكلام؟

فإن لم يذكر آية من كتاب الله ولا أحاديث مقبولة عن رسول الله وجب أن نمحو هذه الزيادات وأن نرفض تلك الإضافات.

ونقول دون تردد: هذا باطل فقد انتهى الوحي، ولا نسلم لبشر أن يزيد في حقائق الدين؛ بل إن الزيادة في هذا الباب لا تقل خطرًا عن وضع الأحاديث على رسول الله ﷺ، ومن حق المسلمين في المشارق والمغارب أن ينادوا: هذا وحي من عند الله فيُقبل، وهذا لغو عند الناس فيُرفض.

وإنني أعجب: لماذا يريد بعض إخواننا أن يقرن التصوف بهذه المبتدعات والغرائب المنكورة؟

إن التصوف عند رجاله الأوائل طُرق تربية نفسية صالحة، وتدريبٍ على مراقبة الله ومشاهدته فيما نفعل ونترك،

ويمكن تسميته عِلم الأخلاق الدينية؛ لأن تراثه المنتقَى لا يخرج عن هذا الإطار، وقد كان أبي رحمه الله صوفيًّا من أتباع الشيخ أبي خليل، فما عرفتُه إلا كادحًا يتقي الله في رزقه، ويقرأ كتابه في دكانه، ويعايش الناس على الأُخُوة السمحة، ولا يعرف شيئًا بعد ذلك من هذه الخيالات.

أخشى إذا حرص صوفية العصر على التشبث بغير الكتاب والسنة أن يجنوا على التصوف جملة وتفصيلًا، فيُجتاح من أصله..».

محمد بن عبد الوهاب رفع شعار التوحيد

وقال فضيلته في موضع آخر[1]:

«رفع محمد بن عبد الوهاب شعار التوحيد، وحُقَّ له أن يفعل! فقد وجد نفسه في بيئة تعبد القبور، وتطلب من موتاها ما لا يُطلب إلا من الله سبحانه.

وقد رأيت بعيني من يُقبِّلون الأعتاب ويتمسحون بالأبواب ويجأرون بدعاء فلان أو فلان كي يفعل كذا وكذا! ما هذا الزيغ؟ ما الذي أنسى هؤلاء ربهم؟ وصرفهم عن النطق باسمه والتعلق به؟ وماذا يرجو العبيد من عبد مثلهم لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا؟ إنه لو كان حيًّا ما ملك لهم شيئًا، فكيف وهو ميت؟»

---

(١) «مائة سؤال عن الإسلام» ص ٣١٣.

ضلال معظّمي القبور والأضرحة

وقال فضيلته في موضع آخر[١]:

«جاءني يومًا رجل مشهور بالإيمان والطِّيبة، وقال لي في استحياء ولوم: سمعتُ أنك هاجمت الإمام الحسين، وزوَّار ضريحه، ووصفته بما لا يليق!

فقلت له وأنا دهش: كيف؟

قال: كنت تشرح عقيدة التوحيد، فوصفتَ قاصدي القبر الشريف بكلمات رديئة، وصفتَهم بأنهم أشخاص أعجبهم قصر منيف، فبدل أن يتَّجهوا بالإعجاب إلى بانيه، اتجهوا بمدائحهم ورغباتهم إلى إحدى دَرَج السُّلم أو إحدى سلال المهملات.

قلتُ لمحدِّثي: أَمَّا أني هاجمت الحسين، فوالله إني أحب الحسين وأباه وجِده، وودتُ لو كان لي شرف الموت في

(١) «ركائز الإيمان» ص ٢٧٧.

كربلاء، أو صِفِّين، أو إحدى الغزوات!

وما خطر ببالي يومًا أن أسيء إلى رجل أو امرأة من آل البيت، وإني لأَرَى حبهم دينًا وكرههم فسقًا.

وأَمَّا أني تحدثت في عقيدة التوحيد -فنَعَمْ، ومن الرسول وآل بيته تعلمنا هذا الحديث، وقد قلت فعلًا:

إن الذي يَدَع اللهَ ربَّ العالمين، ويتجه إلى شيء من الأشياء، أو شخص من الأشخاص يطلب منه ما لا يُطلب إلا من الله فهو ضال، وقد كنت في كلامي أهاجم الوثنية، ولا أطعن في أحد، وما خطر ببالي قط أَمر الإمام الحسين.

قال: لقد كنت تخطب في الجامع الأزهر، وهو قريب من مسجد الحسين، فليس عجبًا أن يكون كلامك اعتراضًا على رُوَّاده، ولماذا تقول كلامًا يفيد ترْك الوسيلة؟

قلت: إذا أقبل أحد على الله بقلبه وشَرَع يُوجِّه العباد إليه وحده ضاقت بذلك أفئدتكم وتصيَّدتم له التهم وطلبتم منه العبث؟!

كيف تجيء إلى إنسان تعلَّقت بالله مشاعره وارتبط به خوفه ورجاؤه لتقول له: اعرف فلانًا أو توسلْ بفلان؟

إن جماهير المسلمين لو عاشت وماتت وهي لا تعرف فلانًا هذا ما نقص إيمانُها ذرة، فكيف تقحم أنت على صلتها بالله ما لا جدوى منه -على أخفِّ الفروض-؟

يا الله، هل حديث التوحيد يجعل صاحبه ظنينًا، ويعرِّضه للقيل والقال؟

قال: كأنك تنكر كرامات الأولياء ومكانتهم عند الله

قلت: وما علاقة هذا كله بتوحيد الله وإفراده بالدعاء؟ إن للصالحين عند الله مكانة تخلِّدهم في نعيمه المقيم ورضوانه العميم، وقد بَلَغوا هذه المكانة بصدق العبودية، وإبداء الذل والاستكانة في الحضرة الإلهية، ونحن مكلَّفون أن نصنع مثلهم، أو نقترب من شأوهم إن لم نبلغه.

فما هذا التسكُّع حول أسمائهم، وابتداع أساليب في مرضاة الله ما أنزلها ولا أذن بها؟

ومرَّة أخرى، كيف تجيء إلى قلب فرغ من المخلوقين إلى الخالق، وخلص من العبيد إلى السيد، لتقول له: اقسم مشاعرك بين الله وفلان؟

وما علاقة ما يُنسب إلى هؤلاء من خوارق وبين صدق العقيدة؟ ما هذا الحمق؟!

إن الخاصة الأولى في الإسلام أنه دين التوحيد المطلق، ويظهر أن بعض الناس تهبط طبائعهم دون ذلك فيجنحون على الأوهام المجسمة لينشئوا علاقات معها، تنمو على حساب التوحيد الخالص!

وقديمًا عندما هاجم التتار بغداد سُمع بعض المغفَّلين من هؤلاء يقولون:

يَا خائفين من التَّتَرْ ... لوذُوا بقبر أبي عمرْ!

ولا أعرف أبا عمر هذا ولا قبره، وسواء كان صالحًا أو طالحًا، فإن اللياذ به لا يُغني شيئًا.

وقد سقطت بغداد، وأُعمل السيف في رقاب الرعاع اللائذين به.

وكان بعض الحشَّاشين في القاهرة يستكثر أن يحتلَّها الإنكليز وفيها قبر فلان وفلان من الأئمة!

ماذا دهى المسلمين حتى سَرَتْ بينهم تلك الخزعبلات؟ فإذا شرحت عقيدة التوحيد في أدب وتيسير جاء من يتَّهمك بعداوة الصالحين!

أما خوارق العادات التي شاع ذكرها واستفاض في ميادين التعبُّد والولاية، فأولى بالمسلمين ألا يتجاوزا بها دلالتها المحدودة، فهي -لو صَحَّت- ما كانت أمارة على قربى من الله، ورفعة درجة عنده. فكيف وأغلب هذه المرويّات نسيج خيال أو مبالغات سُذَّج؟»

حرمة بناء القبور على المساجد قطعًا لدابر الوثنية

لفضيلة الشيخ

عبد الحميد كشك رحمه الله[١]

من كبار علماء الأزهر الشريف

سُئل فضيلته رحمه الله[٢]:

ما حكم الشرع في بناء الأضرحة ونقل الموتى داخلها ووضع مقصورات عليها بحجة أنهم بعض أولياء الله الصالحين؟

فأجاب فضيلته رحمه الله:

«من حق الله تعالى على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به

---

(١) ولد فضيلته سنة ١٩٣٣م في قرية «شبراخيت» بمحافظة البحيرة، حفظ القرآن وهو دون العاشرة، وارتقى المنبر وهو في الثانية عشر. التحق بكلية أصول الدين، وكان ترتيبه الأول عليها، وعين معيدًا بالكلية سنة ١٩٥٧م، ولكنه رغب عن التدريس، واشتغل بالخطابة. مثَّل الأزهر الشريف في يوم العلم سنة ١٩٦١م، وعُين إمامًا لمسجد عين الحياة بالقاهرة سنة ١٩٦٤م، وظل يخطب فيه قرابة عشرين سنة، وهو من أكثر الدعاة والخطباء صدعًا للحق وشعبية في الربع الأخير من القرن العشرين، وقد لقي ربه رحمه الله وهو ساجد قبيل صلاة الجمعة ٢٦ رجب ١٤١٧هـ (١٩٩٦م).

(٢) «فتاوى الشيخ كشك» (٦/ ١٨).

شيئًا وقد شرع لهم من الدين أمرًا ونهيًا واستحبابًا وكراهة ما يحقق ذلك وما يُسعدهم في دنياهم وآخرتهم.

والعمل لا يكون صالحًا إلا إذا كان خالصًا لله ﷻ وموافقًا لشرعه، والموت انتقالٌ من حياة إلى حياة يفضي فيها الإنسان إلى ما قَدَّمَ، ويبقى له على مَنْ بعده الاستغفار له والترحم عليه، **ولقد استطاعت الوثنية أن تتسلل إلى الناس بوسائل كثيرة كان منها تعظيم القبور بالبناء عليها وتعظيمها والتمسح بها.**

وقد روى البخاري[1] عن ابن عباس ﷺ ما خلاصته: أن الأوثان التي عبدها العرب كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما أهلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كان يجلسون فيها نُصُبًا وسموها بأسمائهم.

ففعلوا، ولم تُعبَد.

حتى إذا هلك أولئك ونُسخ العلم عُبِدَتْ.

وقطعًا لدابر الوثنية: لعن رسول الله ﷺ المتخذين على

(١) صحيح البخاري (٤٩٢٠).

القبور المساجدَ والسُّرُجَ[١]، وسأل ربَّه أن لا يجعل قبره وثنًا يُعبَد[٢]، وأمر عليًّا ﷺ بهدم القبور المرتفعة وطمس التماثيل، فقد بعث عليٌّ ﷺ رجلًا، وقال له -كما في صحيح مسلم-[٣]: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أمرني أن لا أدع قبرًا مُشْرِفًا إلا سَوَّيته ولا تمثالًا إلا طَمَسْته».

وجاء في حديث آخر صحيح عن الذين يبنون مساجد في القبور ويجعلون فيها التصاوير: «**أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»[٤].

ولم يكن في خير القرون أيَّة مشاهد أو مقصورات على القبور، وإنما ظهر ذلك وكَثُر في دولة بني بويه لما ظهرت القرامطة بأرض المشرق والمغرب، وكان بها زنادقة كفار مقصودهم تبديل دين الإسلام».

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢٠٤٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ولفظه: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج».

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٤١٤) من مرسل عطاء بن يسار، وأحمد في المسند (٧٣٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ بدون قوله «يعبد».

(٣) صحيح مسلم (٩٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٧) ومواطن أخر، ومسلم (٥٢٨).

بدعية تقبيل المقصورات والأبواب والأعتاب والمشاهد

وسُئل فضيلته رحمه الله[1]: كثير من الناس يطوفون عند زيارة الأولياء حول الأضرحة، ويُقبِّلون المقاصير المضروبة على قبورهم، ويوفون ما التزموه من النذور لهم، ويطلبون منهم الشفاعة وقضاء الحاجات، فهل يجوز ذلك شرعًا؟

فأجاب فضيلته رحمه الله:

«إن الطواف لم يشرع إلا حول البيت المعظم تَعَبُّدًا لله - سبحانه وتعالى - وطاعة، فلم يرد عن الشارع في الكتاب أو السنة نصٌّ في الطواف حول غيره، ولم يُؤْثَرْ عن الرسول ﷺ، ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين وتابعي التابعين -وهم خير القرون- أنْ طاف أحد منهم حول قبر عند زيارته.

فلا يجوز الطواف حول القبور، ويجب التزام آداب

---

(١) «فتاوى الشيخ كشك» (٥/ ١٧٥).

الزيارة عند حصولها؛ حتى تقع على الوجه المشروع، ولا تقترن بمحرم أو مكروه من الأعمال.

كما لا يجوز تقبيل المقاصير والشبابيك والأبواب والقباب والأعتاب والتمسُّح بها في الأضرحة والمشاهد، وكل ذلك من أعمال الجاهلية التي يَعتقد العامة أنها من باب العبادة أو المبالغة فيها.

يتقربون إلى الله بها ويرجون المثوبة عليها، وما هي في شيء منها؛ إذ إن العبادة إنما تكون بما شرعه الله وحدده في كتابه أو سنة رسوله، وليس للعباد أن يشرعوا فيها ما لم يشرعه الله تعالى ورسوله ﷺ.

والمثوبة إنما تكون على الطاعات لا على المنكرات ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠] وابتدع في عبادته ما لم يأذن به الله، وكيف يرجو الثواب وهو غارق في بدعته وضلالته، مخالف لربه في هَديه وشريعته.

ومما يجب أن يُعلم أن الدعاء مخ العبادة ومظهر العبودية،

ولا تكون العبادة حقًّا ولا العبودية صادقة إلا إذا تجردتْ عن شوائب المنكرات والمعاصي وخلصت لله تعالى وحده ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

وإن الله تعالى قد طلب منَّا أن ندعوه، ووعدنا الاستجابة، فقال تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠] وإنما يستجيب في الدعاء الحق، وقد نهانا أن ندعو غيره ممن لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا؛ إذ إن الله تعالى وحده هو الذي يجيب المضطر إذ دعاه، وهو الذي يكشف السوء، وهو الذي ينفع ويضر، وهو الذي بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

وفي الحديث الصحيح: « **إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك،**

رفعت الأقلام وجفت الصحف»[1].

وفي الحديث القدسي: «**يا عبادي كلكم ضال إلا مَنْ هديتُه؛ فاستهدوني أَهْدِكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمتُه؛ فاستطعموني أُطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوتُه؛ فاستكسوني أُكْسِكُم**»[2].

فالمؤمن يتجه الى الله تعالى بقلبه، ويدعوه وحده بما يريد فى الدنيا والآخرة، ولا يلجأ إلا إليه، ولا يدعو لذلك سواه، ويجب -مع ذلك- أن يباشر الأسباب التي أذِن الله فيها، ولا يبتدع ما لم يشرعه الله، ولم يأذَن به.

ومن أسباب إجابة الدعاء:

طاعة الله، واجتناب محارمه، والوقوف عند حدوده، والاعتصام بكتابه وسنة رسوله ﷺ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

ومن العوائق عن إجابة الدعاء:

تلبُّس الداعي بما هو مُحرَّم في دين الله، كما يشير إليه الحديث: «**أَنَّى يُستجاب له ومطعمُهُ حرامٌ ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِي من حرام**»(١).

وفي الحديث الصحيح: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ**»(٢).

فيجب التزام هذا المنهج في الدعاء، والتأدُّبُ بأدب الإسلام فيه، واجتنابُ كل ما ينافيه من قول واعتقاد».

(١) أخرجه بنحوه مسلم (١٠١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، واللفظ لمسلم.

obeikandl.com

دعاء غير الله في البر والبحر شرك

وقال فضيلته رحمه الله في تفسير قوله تعالى[١]: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[يونس:٢٢]:

«ولا نتوجه في تفريج كروبنا وقضاء حاجتنا إلى وثن ولا صنم، ولا إلى وليٍّ ولا نبيٍّ، وفي الآية إيماء إلى أن الناس جُبلوا على الرجوع إلى الله حين الشدائد، ولكن بعض المسلمين في هذا العصر لا يدعون حين أشد الأوقات حرجًا إلا الميتين، ويتأول ذلك لهم بعض العلماء ويسمونه توسلًا... أو نحو ذلك.

قال السيد حسن الهندي في تفسيره «فتح الرحمن»: «فيا عجبًا لما حدث في الإسلام من طوائف يعتقدون في

(١) «في رحاب التفسير» للشيخ كشك (ص ١٦٦٢، ١٦٦٣).

الأموات، فإذا عرضت لهم في البحر مثل هذه الحالة دعوا الأموات، ولم يخلصوا لله كما فعله المشركون، كما تواتر ذلك إلينا تواترًا يحصل به القطع. فانظر -هداك الله- ما فعلت هذه الاعتقادات الشيطانية، وأين وصل بها أهلها، والى أين رمى بهم الشيطان؟ وكيف اقتادهم وتسلط عليهم حتى انقادوا له انقيادًا ما كان يطمع في مثله ولا في بعضه من عُبَّاد الأصنام إنا لله وإناإليه راجعون».

وقال الألوسي في تفسيره[1]: «وأنت خبير بأن الناس اليوم إذا اعتراهم أمر خطير وخَطْبٌ جسيم في بر أو بحر دَعَوْا من لا يضر ولا ينفع ولا يرى ولا يسمع، فمنهم من يدعو الخضر وإلياس، ومنهم من ينادي أبا الخميس والعباس، ومنهم من يستغيث بأحد الأئمة، ومنهم من يضرع إلى شيخ من مشايخ الأمة، ولا ترى فيهم أحدًا يخص

(١) «روح المعاني» (٦/ ٩٣)، ط/ دار الكتب العلمية -بيروت.

مولاه بتضرعه ودعاه، ولا يكاد يمر له ببال أنه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الأهوال؛ فبالله تعالى عليك قل لي: أيُّ الفريقين من هذه الحيثية أهدى سبيلًا، وأي الداعيين أقوم قيلًا؟ وإلى الله تعالى المشتكى من زمان عصفتْ فيه ريح الجهالة، وتلاطمت أمواج الضلالة وخرقت سفينة الشريعة». اهـ».

الحجة على عبّاد الأولياء

وقال فضيلته في موضع آخر [١]:

وبهذا ثبت بطلان الشرك في الألوهية، وهو عبادة غير الله مهما يكون المعبود وبطلان الشرك في الربوبية بادِّعاء وساطة المعبود في الخَلْق والتدبير، أو الشفاعة عند الله؛ إذ ليس لمعبود بذاته ولا بتأثير خاصٍّ له عند خالقه يحمله على نفع مَن شاء، ولا ضر من شاء، أو كشف ضر عنه، كما يعتقده عُبَّادُ الأولياء من البشر إلى اليوم، فكلُّ ذلك للرب وحده، ولا يُعلم إلا بوحيه، فادعاء ذلك لغيره كذبٌ لا مستند له.

وفي هذا حُجَّةٌ على زوّار الأضرحة والقبور الذين يقولون: إن هؤلاء الأولياء أحياء عند ربهم كالشهداء، فهم يضرون وينفعون لا كالأصنام، وقد جهلوا أن الله يقول للنصارى إن المسيح لا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا بعبادتهم له،

---

(١) «في رحاب التفسير» للشيخ كشك ص ١٦٥٧.

مع ما آتاه من المعجزات، وأظن أن الأمر لا يبلغ بهم أن يجعلوا السيد البدوي أو سيدنا الحسين، والسيدة زينب أفضل عند الله ولا أقرب منه، وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يخبر الناس بأنه لا يملك لنفسه ضرًّا ولانفعًا: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [يونس:٤٩]. ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل:١]. أي: تَنَزَّهَ ربنا وعلا علوًّا كبيرًا عما يشركون به من الشفاعة والوسطاء وما يفترون عليه من أن لأحد مِن خلقه وساطة عنده، وشفاعة لديه تقربه إليه زلفى، ففي هذا تحقير لمقام الربوبية والألوهية، وتشبيه الرب بعبيده من الملوك الجاهلين.

وفي هذا إيماء إلى أن شئون الرب وسائر ما في عالم الغيب لا يُعلم إلا بخبر الوحي.

أفتى العلماء بهدم المساجد والقباب التي بنيت على المقابر

لفضيلة الشيخ

سيد سابق رحمه الله[١]

من كبار علماء الأزهر الشريف

قال فضيلته رحمه الله[٢]:

«وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها مفاسد يبكي

---

(١) ولد فضيلته في يناير سنة ١٩١٥م بمحافظة المنوفية، وأتم حفظ القرآن ولم يتجاوز تسع سنوات، ثم التحق بالأزهر، وظل يتلقى العلم ويترقى حتى حصل على العالمية في الشريعة سنة ١٩٤٧م، ثم عمل بالتدريس بعد تخرجه في المعاهد الأزهرية، ثم بالوعظ في الأزهر، ثم انتقل إلى وزارة الأوقاف في نهاية الخمسينيات متقلدًا إدارة المساجد، ثم الثقافة، فالدعوة، فالتدريب، ثم انتقل إلى مكة المكرمة فعمل أستاذًا بجامعة الملك عبد العزيز، ثم جامعة أم القرى، وأسند إليه فيها رئاسة قسم القضاء بكلية الشريعة، ثم رئاسة قسم الدراسات العليا. وأمضى حياته في التعليم والدعوة إلى الله تعالى، وله مؤلفات من أشهرها «فقه السنة»، وتوفي رحمه الله يوم الأحد ٢٣ ذي القعدة ١٤٢٠هـ.

(٢) «فقه السنة» (١/ ٤٠٢).

لها الإسلام، منها: اعتقاد الجَهَلَة فيها كاعتقاد الكفار في الأصنام، وعظَّموا ذلك فظنوا أنها قادرة على جَلْبِ النفع ودفع الشر، فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأل العباد من ربهم، وشَدُّوا لها الرحال وتَمَسَّحُوا بها واستغاثوا، وبالجملة إنهم لم يدَعوا شيئًا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه - فإنا لله وإنا إليه راجعون-.

ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب لله، ويغار حمية للدين الحنيف لا عالمًا ولا متعلمًا، ولا أميرًا ولا وزيرًا ولا ملكًا.

وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا شك معه أن كثيرًا من هؤلاء القبوريين -أو أكثرهم- إذا توجهتْ عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرًا، فإذا قيل له بعد ذلك؛ بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكَّأ وأبى واعترف بالحق، وهذا من أَبْيَنِ الأدلة على أن شركهم قد بلغ فوق

شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة.

فيا علماء الدين ويا ملوك الاسلام أيُّ رُزءٍ للإسلام أَشَدُّ من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أَضَرُّ عليه من عبادة غير الله، وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبًا؟

لقد أسمعتَ لو ناديت حيّا ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نارًا نفخت بها أضاءتْ ولكن أنت تنفخ في رماد

وقد أَفْتَى العلماء بهدم المساجد والقباب التي بنيت على المقابر. قال ابن حجر في الزواجر:

« وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور؛ إذ هي أَضَرُّ من مسجد الضرار؛ لأنها أُسِّسَتْ على معصية رسول الله ﷺ؛ لأنه نهى عن ذلك، وأمر ﷺ بهدم القبور المشرِفة، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر، ولا يصح وقفه ونذره».